# المرأة الأدبية

## -٢-

بقلم الاستاذ أحمد صندوق

وفي فترة انتقال الملك الاموي من آل ابي سفيان لمروان وآله نشطت دعوة آل الزبير فعمت الحجاز والعراق وكادت تكتسح سوريا ومصر لولا دهاء عبد الملك وشجاعته فقد قاومها حتى قضى عليها بعد ان دامت سبع سنوات . ومع توخي عبد الله بن الزبير العدل وتظاهره بالتقوى والتقشف لم تخل مدته من انتقادات صارخة لانواع ظاهرة من الارهاق والاثرة وابرز مافيها قصتان تعطيان برهاناً ساطعاً على غليان النفوس والافصاح عما يخالج الضمائر من الألم .

١ـ ارسل عبد الله اخاه مصعباً الى البصرة فاخذ له البيعة من اهلها ثم قضى على المختار فدان له العراق كله وكان للمختار زوجتان فاحضرهما مصعب وطلب اليهما البراءة من المختار فاجابته الاولى وامتنعت الثانية فامر بها فقتلت بصورة فظيعة على مرأى من الناس فقال احدهم :

ان من اعظم الكبائر عندي ... قتل بيضاء حرة عقيلة
قتلت هكذا على غير جرم ... ان لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جر الذيول

ماهذا العسف بامرأة لم تبرأ من زوجها المقتول ما تأثيرها في المجتمع لو تركت وشأنها ما هذا الاسراف في الدماء ماهذا التعرض للنساء المسلمات وقد كنا ننهى عن التعرض للمشركات . سمع مصعب هذا الشعر فطأطأ رأسه حياءً وندامة وحق له ان يندم ويخزى فالجريمة لا تغتفر والانتقاد من والحجة بالغة

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى الغانيات جرّ الذيول

٢ـ استولى مصعب على بيت مال العراق فاخذ ينفق منه مايشاء على ملاذه وشهواته . بنى بثلاث عقائل من ارفع بيوتات المجد ومهر كل واحدة منهن الف الف سوى ما ساقه الى اهلها من الاموال والجواهر والخدم والحشم وقد دخل على احداهن بحمل طوقا قيمته ثلاثون الف دينار فوجدها نائمة فأيقظها ورماه في حجرها . فانكرت عليه ايقاظها وقالت كدرت على نومي وان ساعة نوم خير عندي مما جئتني به . ثم لوّت وجهها عنه وعادت لنومها .

ولم لاتفعل ذلك وقد ترك لها والدها قناطير مقنطرة من الذهب والفضة . وكان في اهدائه الطوق اليها كناقل المشمش الى غوطة دمشق .

اثر هذا الاسراف في بيت المال حتى عجز عن دفع رواتب الجنود فساءت الحال وجاعت العيال ، فكتب احد القواد الى الخليفة في مكة . بهذه الرسالة المنظومة

ابلغ امير المؤمنين رسالة ... من ناصح لك لايريك خداعا
يضع الفتاة بألف الف كامل ... وتبيت قادات الجيوش جياعا
لو لابي حفص اقول مقالتي ... وابث ما ابثثتكم لارتاعا

ايها الخليفة اني لك من الناصحين ، انك لاترى اسرافا الا وبجانبه حق مضيع فهذه الاموال التي يسرف اخوك الوالي في انفاقها على فلانة وفلانة جعلت جنود الدولة وقوادها جياعا وهذا منتهى الظلم ، ولو جرى هذا في عهد الفاروق لسارع الى الى عزل الوالي ومعاقبته .

فلما وصلت الرسالة غضب على اخيه وعزله ثم خطب فقال الا إن مصعباً اغمد خيره وسل ( ... )

ومن الحق ايضاً ان نقرر ما كان لهذه الفرقة المارقة من الإسباب في تخفيف غلواء الملوك فقد كادت تزعزع عرش الدولة ( ومنها بلال وابو حمزة وشبيب وقطري بن الفجاءة )

لما خطب زياد في البصرة خطبته البتراء واعلن بها الاحكام العرفية عارضه بلال بقوله انبأنا الله بغير ماقلت فقال « وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى » وانت تزعم انك تأخذ البريء بالسقيم والمطيع بالعاصي والمقبل بالمدبر ، ثم لم يلبث

ان خرج على الدولة في جمع من اصحابه .

واول من خنق هذه الروح من الملوك عبدالملك فهو القائل في بعض خطبه ، لايأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاضربت عنقه ، ومع هذا فلم يفده الحزم شيئا وثار عليه العراقيون مراراً وما زالوا حتى انقرضت دولة بني امية وكنت في كل حين تسمع صوتاً عالياً وترى سلاحا لامعا وثورة يتأجج سعيرها فيذهب بكثير من الضحايا إلا ما كان في عهد عمر بن عبدالعزيز ، حيث خيم الهدوء وقامت الالسنة مقام الاسنه في عامة المواقف .

واليك ماقابله به احدهم وهو على المنبر

ان كنت تحفظ مايليك فانما عمال ارضك بالبلاد ذئاب
لن يستجيبوا للذي تدعو له حتى تجلل بالسيوف رقاب

وهذا آخر يخاطبه وهو على منبر دمشق

ان الذين بعثت في اقطارها نبذوا كتابك واستحل المحرم
طلس الثياب على منابر ارضنا كل يجوز وكلهم يتظلم
واردت ان يلي الامانة منهم عدل وهيهات الأمين المسلم

على انه قدتخلل هذه الفترات كثير من المواعظ والاجوبة لبعض رجال الدين والاباء تخفف من غطرسة الملوك والامراء كالذي جرى بين معاوية والنعمان بن بشير وهشام والرجل الدمشقي فهي تعد نماذج صالحة للجرأة التي طبع عليها العرب في بداوتهم ونموها في عهد الرسالة والخلفاء الراشدين والنضال الذي قام بين الشعب وبين من حاول خنق هذه الروح بعد عهد الخلفاء الزاهر .

ومما لا يستطاع انكاره ان هذه الفترة التي تلت عهد الخلفاء كانت كافية لتحويل الافكار واماتة هذه الروح تدريجياً وذلك بموت كبار الرؤساء المتشبعين بها وتأثر النشء الجديد بروح السياسة التي حملها عليها الملوك واستساغته اياها

فلم تبزغ شمس الخلافة العباسية حتى كانت الاكثرية الساحقة من افراد الامة مقهورة فى البوتقة التي وضعتها لهم سياسة هؤلاك الملوك .

نعم لقد تسممت الافكار بامثال هذه التعاليم فضعفت الشجاعة الخلقية وسادت روح الخنوع ما عدا فئة قليلة كان افرادها بين الفينة والفينة يدخلون على الملوك ويبذلون لهم النصائح باسم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر امثال طاوس اليماني وسفيان الثوري وعمرو بن عبيد وابن السماك وغيرهم في العراق والقاضي منذر بن سعيد في الاندلس .

١ـ نقلت الاخبار ان المنصور استزار عمرو بن عبيد فلما دخل عليه قال له المنصور اعني بنفسك ورجالك فاجابه بقوله ارفع عنم الحق يتبعك اهله ثم استأذن وخرج فاتبعه المنصور بصره وقال

كلكم خاتل صيد ، كلكم يمشي رويد ، غير عمرو بن عبيد

٢ـ اتي الرشيد بماء وعنده ابن السماك فقال له لو حبست عنك هذه الشربة اكنت تشتريها بملكك قال نعم قال فلو حبس عنك خروجها اكنت تفديها بملكك قال نعم قال ان ملكا يباع بما تقول اهل الا يعصى الله فيه

٣ـ دخل القاضي منذر بن سعيد يوما على عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس بعد ان فرغ من بناء الزهراء وقصورها وقد قعد في قبة مزخرفة بالذهب والبناء البديع الذي لم يسبق اليه ومعه جماعة من الاعيان فقال الناصر هل بلغكم ان احداً بنى مثل هذا البناء فقال الجماعة لم نر ولم نسمع بمثله .

واثنوا وبالغوا والقاضي مطرق . فاستنطقه عبد الرحمن فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته وقال والله ما كنت اظن ان الشيطان اخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ ولا ان تمكنه من قيادك هذا التمكين مع ما آتاك الله وفضلك به حتى انزلك منازل الكافرين . فقال له عبد الرحمن انظر ما تقول وكيف انزلني منزل الكافرين فقال قال الله تعالى ﴿ ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن كفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسرراً عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عندربك للمتقين ﴾ فوجم عبد الرحمن وبكى وقال جزاك الله خيراً

واكثر في المسلمين مثلك .

وهكذا اصبحت الجرأة الادبية مقصورة على بعض الوعاظ والزهاد ، واصبحت مطالبة الملوك بتحري العدل محصورة في هذه الفئة التي تستند الى قوة ولا يؤيدها حزب . وكان اكثرها يذهب صرخة في واد او نفخة في رماد كما اصبح سكوت الملك عمن يقابله بما يعد نوعا من الحلم ودليلا على الورع والتمسك بالدين .

اما المطالبة بالمساواة والعدل كحق من حقوق الامة فلم يبق لها من اثر لأن الحق اذا لم تدعمه قوة تنافح عنه فهو والباطل سواء .

وقد اشتط الملوك في بسط سيطرتهم حتى زعموا انهم استمدوها من الله فليس للرعية ان تحاسبهم على شيء من امورهم وساعدهم على ذلك كثير ممن اتسموا بسيما العلم فتولوا مناصب القضاء وممن تردوا برداء الوزارة فقاموا باعباء الدولة واطلقت يدهم في التصرف بالاموال والانفس فوضعوا لهم اسس التعاظم ووطدوا دعائمه بأن اخذوا قوانين فارس والروم والهند واليونان والفراعنة فنقلوها الى لغتنا وسموها آداب الملوك ليعلموا الشعب كيف يجب عليه ان يعامل ملوكه وامراءه .

قال يحيى بن خالد : مسألة الملوك عند حالها من تحية النوكى فاذا اردت ان تقول كيف اصبح الأمير فقل

صبح الله الامير بالنعمة والكرامة . واذا كان عليلا فاردت ان تسأله عن حاله فقل انزل الله على الامير الشفاء والرحمة .

وقالوا : اذا زادك الملك اكراما فزده اعظاما ، واذا جعلك عبدا فاجعله ربا ، ولا تدع من النظر اليه ، ولا تكثر من الدعاء في كل كلمة ، ولا تتغير له اذا سخط ، ولا تغتر به اذا رضي

وقالوا : الملوك لا تسأل ولا تشمت ولا تكيف

ان الملوك لا يخاطبونا ... ولا اذا ملوا يعاتبونا
وفي المقال لا ينازعونا ... وفي العطاس لا يشمتونا
وفي الخطاب لا يكيفونا ... يثنى عليهم ويبجلونا

فافهم وصاتي لا تكن مجنونا

وهذه القوانين كلها ليست من طبيعة العربي في شيء ، ولا من الدين الاسلامي في شيء وانما هي حركة رجعية شعوبية قام بها بعض ذوي الاغراض والاطماع .

ثم درج عليها الناس حتى لم نستطع التخلص منها الى عهدنا هذا وتلك من اعظم مساوىء الحكم الفردي المطلق . هذه لمحة موجزة عن تطورات الجرأة الادبية في عهد اجدادنا العرب ..

دمشق — احمد صندوق

# أدب التاريخ

للشاعر المورخ الشيخ علي البازي

وقلت مؤرخا عام ولادة بيان الخاقاني ولد الاستاذ علي الخاقاني في النجف يوم عيد الاضحى سنة ١٣٦٦ هـ

قد انجب الشهم علي الذرى ... شبلا تسامى رفعة عن بيان
اوحى له الله بتاريخه ... (كبر بعيد النحر هذا بيان)

وقلت مؤرخا عام ولادة احسان ولد الاستاذ الحاج مرهون الصفار في النجف سنة ١٣٦٣ هـ

اتاك احسان فطوبى لمن ... يجزي من الله باحسان
وانت في الدارين مذ ارخو ... (ذكرك مرهون باحسان)

وقلت مؤرخا ولادة نبيل ولد الاستاذ السيد محمد رضا السيد سلمان المحامي في النجف سنة ١٣٦٧ هـ

اعظم بشهر ربيع كم به ازدهرت ... مرابع هي ري للذي يرد
لنا به البشر كالوحي المبين اتى ... مذ ارخوه (نبيل المرام يرد)

وقلت مؤرخا عام ولادة حازم ولد السيد تقي الخلخالي في الكوفة سنة ١٣٦٣ هـ

بشرى التقي في فتى ... ينمى لعليا هاشم
وافى وضياح الهنا ... وافى بثغر باسم
والعندليب ارخوا ... (غرد باسم حازم)

وقلت مؤرخا ولادة فوزي ولد عبد الحميد مرزه في الكوفة سنة ١٣٤٩

بشبلك يا عبد الحميد تنورت ... نواظرنا . والانس تم نظامه
ففيها هو قد خط الهوى بجبينه ... ألا إنما التأريخ (فوزي) غرامه

الكوفة — علي البازي